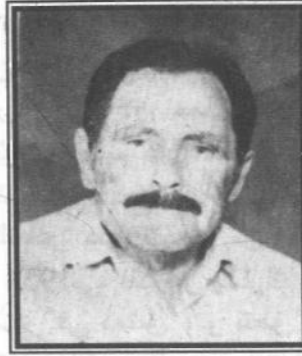


سعد بوفلاحة

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار عنابة

قراءة في شعر علي أحمد الجندي

أستلم في 01/08/30 - قبل في 01/12/05



الشاعر: علي الجندي
موجز ترجمته :

هو علي بن أحمد الجندي ولد بمدينة " السلمية " بمحافظة حماة في سورية سنة 1930م. وتوفي بمدينة عزابة، ولاية سكيكدة بالجزائر يوم الاثنين لأربع بقين من رمضان سنة 1419هـ، الموافق 25 يناير 1999م. عن عمر يناهز السبعين سنة. نشأ في أسرة متوسطة الحال، فقد كان والده تاجرا، وكان يملك أيضا قطعة أرض زراعية، سلمها إلى فلاح يفلحها، ويتقاسم معه أرباحها. وفي السلمية بدأ علي الجندي تعليمه في الكتاب كبقية الأطفال في بلدته، ثم واصل دراسته الابتدائية في المدرسة النموذجية.

ولظروف خاصة ، لم يتمكن من مواصلة دراسته المتوسطة والثانوية كطالب منتظم و لكنه كان عصاميا فاستطاع أن يتحصل على شهادة الأهلية (البريفي) سنة 1948م، ثم شهادة البكالوريا سنة 1954م - قسم الرياضيات ثم التحق فيما بعد، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قسنطينة، الجزائر. وتخرج منها مجارا في الأدب العربي سنة 1971م.

انضم علي الجندي إلى أسرة التربية والتعليم مبكرا ، فعمل مدرسا في مرحلة التعليم المتوسط بشمال سورية، وقد انتقل أثناء ذلك إلى عدة مناطق، فعمل في منطقة (الخابور) بمحافظة الحسكة، وكان سكانها من الآشوريين، فتعلم (الآشورية)، ثم انتقل إلى منطقة (الأكراد) بالمحافظة نفسها، وهناك تعلم

اللغة (الكردية) . ثم عين ، فيما بعد ، مديرا لبعض المدارس الخاصة (الحرة) ، منها " متوسطة الثورة " في ناحية الشيخ بدر بولاية "طرطوس" ومتوسطة الشهيد "عدنان المالكي" في قرية سبورة التابعة لقضاء السلمية، ومتوسطة "التعاونية الأهلية" في "برشين" التابعة لمنطقة مصياف.

وخاض الأستاذ علي الجندي معترك السياسة منذ نعومة أظفاره، فانضم إلى حزب البعث السوري منذ نشأته سنة 1947م. وكان مسؤولاً عن فرق الطلاب في الحزب. وبسبب ذلك زج به في غياهب السجن، وذاق ألوانا من العذاب في عهد " أديب الشيشكلي " الذي تزعم الانقلاب العسكري سنة 1952م. ولكن محنة الشاعر انتهت بانتهاء حكم الزعيم المذكور سنة 1953م.

كما كان من المغضوب عليهم في الفترة التي أعلن فيها عن الوحدة بين سورية ومصر، وذلك لأن جمال عبد الناصر عمل على حل حزب البعث ومضايقة البعثيين، ومنهم علي الجندي الذي فرّ بجلده إلى لبنان سنة 1961م. وطالب له المقام هناك ، فمكث فيه حتى سنة 1966م.

وكان الشاعر علي الجندي من أنصار الثورة التحريرية في الجزائر منذ اندلاعها سنة 1954م ، فقد كان يشارك في تحرير صحف " المغرب العربي " التي كانت تصدر في دمشق ، و تنطق باسم الثورة الجزائرية. كما كان يقوم بجمع التبرعات من الشعب السوري لفائدة الثورة الجزائرية.

وفي سنة 1967م انتقل الشاعر الأستاذ علي الجندي إلى الجزائر ، فقد كان ضمن البعثة التعليمية السورية التي أرسلت إلى الجزائر آنذاك. وعين في متوسطة "التربية والتعليم للبنات" التي أنشأها الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة في الثلاثينيات كمعلم لمادة الرياضيات، وكان في الوقت نفسه طالبا بكلية الآداب بجامعة قسنطينة، و التي نال منها شهادة الإجازة "الليسانس" في اللغة العربية وآدابها سنة 1971م كما أسلفت.

كما كان مدرسا لمادتي : الرياضيات و اللغة العربية لطلبة التعليم المتوسط و الثانوي (البكالوريا) في المدارس الخاصة (الحرة) التي كانت منتشرة بكثرة يومئذ بمدينة قسنطينة، و في هذه المدارس تعرفت على الأستاذ الفاضل والشاعر الخنذي علي الجندي، و الذي سأحدث عن ذكرياتي معه بعد حين.

وفي سنة 1975م عيّن أستاذا للغة العربية و آدابها بالمعهد الإسلامي بمدينة صفاق ولاية بجاية. و قد استفاد من عمله في هذه المنطقة القبائلية، فتعلم اللهجة الأمازيغية، وأصبح يتكلم بها بطلاقة ، وقد زرته هناك سنة 1977م. فوجدته صار كأهل المدينة يتكلم الأمازيغية.

وفي سنة 1981م انتدبته وزارة التربية والتعليم إلى ثانوية " مالكي عز الدين" بمدينة عزابة ولاية سكيكدة لتدريس مادة اللغة العربية و آدابها ، ثم عينته

بثانوية "متقن موسى صالح" بالمدينة نفسها ، وقد ظل يشتغل فيها حتى أحيل على التقاعد سنة 1990م⁽¹⁾.

علي الجندي كما عرفته⁽²⁾

كانت مدينة قسنطينة ولا تزال العاصمة العلمية للجزائر ، منذ عهد الإمام عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي جعلها حاضرة للعلم والفقه، ومكانا يُقرأ فيه القرآن، وتحفظ فيه تعاليم الإسلام، وقد بقي سكاؤها متشبّثين بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف إلى يومنا هذا وسيظل سكانها كذلك، إن شاء الله، ما بقيت هذه المدينة على وجه الأرض ، وهي مدينة جميلة فريدة الطابع. وكانت قسنطينة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي فضاء للعلم، وقد اجتمع فيها علم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتلامذتهم، وعلم الإخوة المشاركة الذين توافدوا عليها من مختلف الأقطار العربية من خلال البعثات التعليمية السورية والمصرية، والعراقية، وغيرها التي أرسلت إلى الجزائر آنذاك.

وكان من بين الوافدين إلى قسنطينة من الاخوة البررة السوريين الأستاذ (علي الجندي) الذي نُزل بها سنة 1967م. وكان يُدرّس في متوسطة "التربية والتعليم للبنات"، كما كان يُدرّس في المدارس الخاصة (الحرّة) التي كانت منتشرة بكثرة يومئذ في قسنطينة التي ظلت خلال أكثر من عشرين سنة منارة إشعاع علمي وفكري وحضاري بالجزائر، ومحجّة لآلاف الطلاب الذين جاءوا من مختلف الأصقاع ليتزوّدوا وليغترفوا من ينابيعها الفياضة. وكان الطلاب يقصدون هذه المدارس الخاصة للدراسة لشهرتها، وبسبب النتائج الجيدة التي تتحصل عليها كل سنة، والتي تفوق في الغالب نتائج المدارس الرسمية ، ولا سيما في امتحاني : شهادة الأهلية ، والبكالوريا. وكان الأستاذ علي الجندي من ألمع الأساتذة الذين اشتهروا في هذه الفترة، وقد شَرّق وغرّب اسمُه، و أصبح يتردد على أفواه الطلبة وقد لقي منهم جميع الثناء ، ووفير الإعجاب، بأفكاره العميقة، وذكائه الخارق، (وأنا واحد منهم). فقد كان يُدرّس طلبة الأهلية و البكالوريا موادا مختلفة ، علمية وأدبية ، فكان يُبدع في تدريس الرياضيات ، كما كان يُبدع في تدريس الأدب. وقد تتلمذتُ عليه أثناء تدريسه بإحدى هذه المدارس "برحبة الصوف بقسنطينة " ولأزمته عدة سنوات، وقد أحببت فيه العلم، والأخلاق، والكرم، والنزاهة ، وعلو النفس، وحُبّ الناس ، وكان رحمه الله، سريع الفطنة والفهم ، قوي الحافظة ، وهو يختلف عن غيره من الشعراء المعاصرين بحبّ العظماء، وهو شاعر العظمة كالمتنبي الذي كان يحفظ معظم شعره عن ظهر قلب، وقد تأثر به أيما تأثر ولا سيما بشعره الحكمي فكان كثيرا ما يُردّد قوله :

تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ⁽³⁾

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا

وقوله أيضًا :

فَلُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
تَكْسَرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ⁽⁴⁾

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
فَصَرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ

وقوله :

وَحِيدًا وَ مَا قَوْلِي كَذًا وَ مَعِيَ الصَّبْرُ⁽⁵⁾

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ

وكان يردد أيضًا قوله :

وَ غَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ⁽⁶⁾

بَغَيْرِكَ رَاعِيًا عَيْثُ الدَّثَابُ

وكان رحمه الله، يتذوق الشعر العربي، وينقده، ويختار منه ما يدلُّ على ذوق رفيع، وله اطلاع واسع على الأدب العربي القديم، من خلال النصوص الشعرية والنثرية التي كان يختارها لطلبته، وهي في الغالب من محفوظاته الكثيرة، فهو نادرا ما كان يعود إلى كتاب أو دفتر أو مذكرات ينقل عنها، بل كان يحفظ عن ظهر قلب حتى النصوص النثرية، كالمقامات وغيرها. فهو يشبه، إلى حد كبير، أبا جعفر المنصور الذي اشتهر بقوة الذاكرة، فقد كان يسمع القصيدة الشعرية مرة واحدة فيحفظها وقصته مع الشعراء مشهورة. وكان علي الجندي رحمه الله، عالما حكيما حليما حسن العشرة، ولغويا كبيرا، فهو لا يجارى ولا يبارى في النحو حتى أن طلبته لقبوه بسيبويه، وقد ألف كتابا في النحو لا يزال مخطوطا، كما كان كريما مشهورا بالكرم، فقد كان كلما التقى بأصدقاء أو خلان (وما أكثر الخلان حين تغدُّهم ولكنهم في النائبات قليل) إلا و دعاهم إلى بيته، وأجلسهم أحسن مجلس، وطلب من زوجه اللبنانية، ثم الجزائرية - فيما بعد - أن تُهيئ ضيافة الرفاق، وعندما تنتهي من ذلك، تلبَّغه، فيحمل ما هيأته إلى غرفة الضيوف، ثم يقدِّم بيديه الكريمتين لكل ما يخصه، فيتناوله، وهو يتمتم بعبارات الشكر (إن كان كريما). وقد حضرت بعض هذه الأكرومات، جعلها الله له في ميزان حسناته، وكان أحيانا لا يدعو إلى المكرمة، ولكنه يجرك إليها جراً، فإذا وجدك قبض على يدك بلطف ورفق وسار بك بحيث لا تشعر حتى تجد نفسك في بهو منزله. وكان كحاتم الطائي مقراءً يُكرم الضيف - أحيانا - ثم يبيت على الطوى هو وزوجه وأطفاله. وإذن، فإن من خسر الشاعرَ الفقيدَ فعلا، هو المجدُّ والمكارمُ، فخسارُهما لا يُعدُّ لهما خسارة.

وكان علي الجندي، رحمه الله، شاعراً مُقلِّقا، مُقتنِّرا مطبوعاً، يقول الشعر على السليقة، فقد كنتُ جالسا معه يوما في أحد مطاعم مدينة قسنطينة،

حيث كنا نتناول طعام الغداء ، و نتجاذب أطراف الحديث ، وإذا به فجأة يُشيرُ عليّ بالسكوت فسكتتُ ، و نظرتُ إلى وجهه الكريم، فإذا به يتصيّبُ عرقاً، و كان الفصل شتاءً، ثم أخرج من محفظته ورقة وقلمًا، وراح يكتُبُ و يقرأ بصوت مجلجل قصيدة شعرية من ثمانية عشر بيتًا ، أنشأها في تلك اللحظة ، وهي قصيدة جيدة لم تحضرني الآن، وقد نُشرت بعد أيام في يومية النصر التي تصدر في قسنطينة. وكان يحبُّ الموسيقى والغناء، ولا سيما الموسيقى الأندلسية، وأغاني فيروز، وأم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب ، كما كان يحبُّ الموسيقى العالمية، وبخاصةً سنفونيات موزار وبيتهوفن.

وهناك جوانب أخرى كثيرة شيقة في حياة الشاعر المبدع علي الجندي ، عرفتُها فيه من خلال مصاحبتي له لعدة سنوات، لا يتسع المجال لذكرها جميعاً هنا في هذه العجالة ، وقد نعود إليها في فرصة أخرى ، إن شاء الله.

فنون شعره :

طرق علي الجندي معظم الأغراض و الفنون الشعرية المعروفة عند شعراء العرب القدامى والمحدثين كالغزل، والمدح ، والرثاء، والشعر الوطني، والاجتماعي، و غيرها. وقد جمع شعره الذي قاله خلال نصف قرن ونيف في ديوان شعريّ ضخم، وحمله معه إلى بلدٍ عربيّ قصد طبعه ونشره هناك. ولكن ذلك الديوان قد ضاع ، ولم يكن لدى الشاعر نسخة أخرى منه.

وبالرغم من ذلك ، فقد بقيت لنا شذرات من شعره، موزعة هنا وهناك. نجدُ بعضها في أدراج مكتبته وبعضها الآخر عند بعض أصدقائه، كما نجدُ مجموعة من القصائد والمقطعات في بحث طالبة سعاد ماجري الذي قدّمته لنيل شهادة الإجازة " الليسانس" في الأدب العربي بمعهد اللغة العربية وأدابها ، بجامعة عنابة ، والموسوم بـ " علي أحمد الجندي - حياته وشعره". وقد سلّمها تلك النماذج خلال السنة الجامعية : 1993/92م.

هذه النصوص القليلة التي وصلتنا من شعر الشاعر، ما هي إلا جزءٌ ضئيل مما أنشده، ولكننا مازلنا ننتظرُ أن يصلنا يومٌ يكشفُ فيه النقابُ عن شعر علي الجندي، لأن معظم شعره نشر في الصحافة العربية، وبخاصةً في سورية، ولبنان، والجزائر، وقد قرأتُ له خلال العشرينيتين الأخيرتين ، فقط ، عشرات القصائد المنشورة في يوميّتي الشعب والنصر الصادرتين بالجزائر. و لذا يُمكنُ جمعُ هذه الأشعار في ديوان، ودراستها إن وُجدَ فارس من فرسان البيان يقوم بهذه المهمة.

ولعلّ أقدم ما وصلنا من شعره هذه القصيدة التي نظمها سنة 1963 وهو في ديار الغربة بلبنان بعيداً عن وطنه، فأحسّ بالغربة ، والغربة مرة وحب الوطن غريزة في الإنسان، وإن كان يعيش خارج وطنه مكرّماً، وقد عنونها

بـ " دَمْعَة حَرَّى " ، و هي قصيدة غزلية متصلة بالغربة و الحنين و قدّم لها بقوله : « تأملات داخلية في النفس ، و شعور بالغربة و صراع الإنسان مع متناقضات الحياة باستمرارية تدوم ما دامت حياة المرء » ، قال :

و ليالٍ حالكات	مَزَقْتَ صَمْتَ شُرُودِي
أيقظت قيثار حسني	لتراتيل نشيدي
إيه دُنْيَايَ غريب	في تباريحي صُمُودي ؟
أم ثرائني خِلْتُ أيا	مَكِّ أحلام الرُقُود ؟
فأبينني، و أسفري الـ	يومَ عن صدر و جيد
و ترأني في خطوط الـ	أمس، أو شدو فريد

إلى أن يقول :

اسفحُ الدَمْعَ على أو	تَار دُنْيَايَ و عُودي
و لقد قَرَحْتُ جَفَنَ	يَ بدمعي و نهيدي
دمعة الجفن تُعيدُ الـ	آه في صمْتَ البَعِيدِ
فَعَسَى في كُرهِ نفسي	يَقْظَةُ تَقْرِي فيودي ⁽⁷⁾

و كان الشاعر كثيرًا ما يفتخر ببطولات الشعب العربي من المحيط إلى الخليج فيعدّد مناقبه، و قد توقّرت مقومات الفخر عنده، من خلال تمجيدهِ لبطولات الشعب الجزائري، فكان فخره بفضائل قومه لا بنفسه، و من أجل ذلك نجده لا يترك مناسبة أو ذكرى تمرّ إلا و كتب قصيدة يُشيد فيها بهذه البطولات، كفاتح نوفمبر تاريخ اندلاع ثورة التحرير المباركة أو 5 جويلية عيد الاستقلال أو 16 أبريل يوم العلم و غير ذلك.

و من أروع شعره في ذكرى نوفمبر قصيدة " قد عرفناك ، فذكرُ يا نوفمبر " ، و قدّم لها بقوله :

« تبقى ثورهُ التحرير خالدةٌ خلود الراسيات ، و الشعب الذي حرّر البلاد ، يباشرُ بناءها ، و كلما حلَّ فاتحُ نوفمبر يُردّدُ أحفادُ الشهداء : قد عرفناك فذكرُ يا نوفمبر » ، و هي قصيدة طويلة نقتطف منها هذا المقطع :

صوتُ حُرٍّ في ثرى الأوراس ثائرُ
لحنُ تارٍ في فم الثّوار هادرُ
ومضُ نورٍ لثرى الأحرار ظاهرُ
كلُّنا التاريخُ في أرض الجزائر⁽⁸⁾

ولحنت هذه القصيدة فرقة الإذاعة و التلفزة الجزائرية، و قدّمتها بمناسبة 20 أوت 1975م.

و لعلّي الجندي قصيدة يظهر فيها الإعجاب بالإمام عبد الحميد بن باديس، و يُضمّن فيها بعض أفكار ابن باديس، و لكّته يضع فيها كثيراً من روحه و من فلسفته في العلم من خلال الإشادة بأعمال ابن باديس منها :

أجزائر الأحرار جئتُك مُنشدًا و على جنيني لوعة و خطابُ
فلكلّ شير من ثرايك في دمي عهدُ يَصانُ، و حكمة تنسابُ
في روض سيرتا و الجسور شواهدُ يروي المفاخر و العلا الأترابُ
يا ابن باديس الذي كانت به لوحاتُ فكر زاد الإعجابُ
ما كنت وارث صفوة إلا بما عشت المخاطر و الحياة كتابُ
بوركت في حكم الوجود مجاهدًا وعلوت فكرًا زاده الوهاب⁽⁹⁾

كما طرق عليّ الجندي فنّ الغزل و النسيب. و قد جرى غزله، غالبا ، مجرى الغزل العفيف العذري ، و لعلّ من أجمل ما وصلنا من شعره في الغزل و شكوى الفراق ، قصيدته "و تنوب الكلمات" ، و قد أهداها " إلى كلّ نفس يعذبها الحبّ ، و يعصرها الأسى ، و يلهيها الجفاء ... و لا جواب " ، يقول :

سألتُ عنك ورودي ، و سألتُ الذكريات
و زرعتُ أفاق الأماني ، و صرير الهمسبات ...
و تسيتُ فيك براعتي ، فالشعرُ ترفضه الرفاة
هل مات قيثار الهوى ؟ هل خبت فيك الحياة
إيه ! يا نفسي أجيبني أيقظيني من سبات
فكقد بعثرت أفكاري و زودت الشتات
أرثيك .. أبكيك هل تُوافيك النجاة ..
لا . لا . فاني لا أرى سببا ، يسمّر مهجتي و تذوب الكلمات⁽¹⁰⁾

في هذه القصيدة يستحضر الشاعر ذكرياته مع المحبوبة ، و يبثها فيها شوقه ، و يشكو فيها بعدها ، و يأتي فيها بالمعاني الواضحة ، و العاطفة الصادقة لشاعر صادق التعبير عما يجول في نفسه.

و لعلّ الجندي قصائد أخرى في الغزل ، تحمل الطابع نفسه ، و لكنّه يمزجُ فيها أحيانًا الغزل بوصف الطبيعة ، كقوله في قصيدته " أنشودة اللمى " :

لَمَلَمْتُ ذَكَرَكَ فِي أَمْسٍ عَلَى كَثَبٍ
و رَحْتُ أَحْضَنَهَا فِي الْخَافِقِ التَّعَبِ
نَسِيتُ مِنْ يَدِهَا أَنْ اسْتَرَدَّ يَدِي
مَا لِلسَّلَامِ يَغْطِي الْوَعْيَ بِالْحُجُبِ
مَالِي أَحْكَمُ فِي دُنْيَايَ عَاطِفَتِي
حَتَّى يُرَى الْعَقْلُ مَعْزُولًا بِلا سَبَبِ
عَرِيقَةُ الْحُسْنِ وَ الْأَمَالُ مَلْكَمَةٌ
مَغْسُولَةُ الطَّعْمِ تَدْنُو مِنْكَ كَالْغَيْبِ (11)

كما نظر عليّ الجندي إلي وضع المرأة العربية ، فوجده مُتَدْنِيًا فِي جَمَلَتِهِ ؛ وَوَجَدَ الْمَرْأَةَ تَعَانِي جَمَلَةً مِنَ الْمَظَالِمِ فِي مَعْظَمِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ كَحِرْمَانِهَا مِنَ الْعِلْمِ وَ الْعَمَلِ أحيانًا ، كما هو الحال مع سعاد التي فُرِضَتْ عَلَيْهَا الْإِسْتِقَالَةُ مِنْ عَمَلِهَا بَعْدَ الزَّوْجِ ، وَ تَوَفَّى زَوْجَهَا شَهِيدًا فِي مَعْرَكَةٍ ، فَبَقِيَتْ مَعَ ابْنِهَا الْيَتِيمِ ، وَ ابْنَتِهَا الْمَرِيضَةِ ، تَعَانِي جَرَحَ الذَّهْرِ وَ أَلَمَ الْأَيَّامِ ، وَ إِلَى سَعَادِ هَذِهِ أَهْدَى الشَّاعِرُ قَصِيدَتَهُ " الْجَرَحُ الْأَلِيمُ " الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

قَالَتْ : وَ لَمَلَمْتُ الْجِرَاحَ
عَرَفْتُ حَيَاتِي ثَقُلَهَا
غَابَ الْأُنَيْسُ وَ طَالَمَا
قَدِمَاتُ زَوْجِي بَعْدَمَا
وَلَدِي يَنْدُوبُ تَوَجُّعًا
يَا وَالِدِي يَا إِخْوَتِي
هَيَا أَنْقِذُونِي مَيِّتَةً
مَا كُنْتُ إِلَّا مَوْسِمًا
أَخْشَى اللَّيَالِي وَ الصَّبَاحَ
جَسَدٌ تَقَادُفُهُ الرِّيَّاحُ
حُبْسَ الْحَزِينِ عَنِ التَّوَّاحِ
أَضْنَتْهُ أَيَّامُ الْكِفَاحِ
وَ الْبَيْتُ تَثْقُلُهَا الْجِرَاحُ
يَا كُلُّ بَاغٍ لِلصَّلَاحِ
وَالْفَقْرُ فِي وَجْهِهِ وَشَاخُ
غَضًا مَضَى الْآنَ وَ رَاحُ

إلى أن يقول :

إِذَا مَا سَعَادُ نَجَّهَلْتُ
فَهَلِ الْقَضِيلَةُ قَتَلَهَا ؟
ضَاقَتْ مِيَادِينُ الْمَلَاخِ
فَالْجُرْمُ فِي الْأَفَاقِ لَاحُ (12)

و لعلّي الجندي قصيدة أخرى يُظهر فيها مأساة المرأة ، و يطلبُ فيها بكاءً قيودها ، و يجعل مأساتها مأساته، فيقول في قصيدته " الأسيرة " :

حلّوا القيودَ فإنّها سببُ المخازي و الضلالِ
فرضوا عليكِ طريقَهُمْ يا ويلَهُمْ هذا مُحالُ
أنتِ السّجينةُ حكمُها ظلمٌ و آمالٌ ثِقَالُ

وقال يدافع عن سلمى :

سلمايَ أنتِ قصدي و أصابعُ الآثامِ تغتالُ القصيدةُ
سلمايَ ... أنتِ براعتي لكنْ أفاقُ الظّلامِ
تُخفي براعاتِ عديدهُ⁽¹³⁾

و للشاعر معان كثيرة طرقها لا تدخل في باب من أبواب الشعر التي صنّفها النقاد ، لأنّ الشعر حديثُ النفس، و مجلّى الفكر ، و ما أكثر المعاني التي تخطر للإنسان ، و ما أشد تنوعها. و الجندي أكثرُ الشعراء المعاصرين حديثاً عن نفسه ، و تصويراً لعواطفه ، غاضباً ، و فرحاً. و من أجمل شعره عن النفس قصيدته "لوحة لم تُرسم" و قد قدّم لها بقوله : « النفسُ حيٌّ خاص تتجلّى فيه الاحساسات المختلفة ، فتكون لوحة فنية ، قلما يُدركها المعبرُ أو الفنان » يقول :

ملئت الأوهامَ نفسي و استثارت عمقَ حُدسي
فنسجت الخيطَ لوناً عاريّاً من كلّ لبس
و اتخذت العمقَ منحى فكرتي تقنعُ نفسي
معبد الفنّ و جودي وبه اشربُ كأسِي
فيه ينسابُ قصيدي رونقاً في ثوبِ عرس
و أناجي أمنيّاتي بيننا لفتاتُ خلس⁽¹⁹⁾

خلاصة

حاولنا في التحليل السابق أن ننظر إلى شعر علي الجندي نظرة سريعة من خلال جملة من النصوص والشواهد (غير المستقصاة) ، اجتهدنا في التنقيب عنها في جملة من المظان ، و أثّرنا تجميعها في هذه السطور ، و قد اكتفينا ببعض المقطعات و القصائد دفعاً للسأمة و الملل.

و مهما يكن من أمر فعلي الجندي من رواد الشعر العربي المعاصر في سورية، و في الوطن العربي ، و قبسٌ متقدّ فيهم؛ و هو شاعرٌ خنّيدٌ ، مقتدرٌ ، و مطبوع ، أي لم يكن من " عبيد الشعر " الذين كانوا يأخذون شعرهم بالتهذيب و التنقيح و التنقيف بعد الفراغ منه. و شعره ، في الجملة ، قويّ السبك ، رائق

الديباجة ، سلس الأسلوب ، عذب الألفاظ ، و كان معاصرا لثلاثة من الشعراء الرومانتيكيين السوريين، و هم : صفي قرنقلي⁽¹⁵⁾ (1911-1972م)، و عبد السلام عيون السود⁽¹⁶⁾ (1922-1954م)، و عبد الباسط الصوفي⁽¹⁷⁾ (1931-1960م)، فهو يلتقي معهم في جزء من شعره الذاتي، و لكنه يختلف معهم في شعره الذي قاله في الستينيات و السبعينيات، فقد كان معظمه شعرا ثوريا ملتزما بقضايا الأمة العربية، أي أنه كان صاحب قضية، و قضيتُه هي المجتمع و الوطن العربيين، و قد التزم بالدفاع عن مبادئ الاشتراكية التي تعني عنده العدالة الاجتماعية.

أما الخصائص الفنية لشعره ، فتقتضي مئاً وقفة أخرى ، بعد جمع شعره و نثره كله ، لا يتسع لها المجال في هذه الإطلالة السريعة على شخصيته ، و شعره . و لو لا وجود هذه الشذرات من أدبه لكان الشاعر الكاتب علي الجندي نسيا منسيا ، و لبقى جزء من أدبنا العربي المعاصر مجهولا جهلا تاماً. و أودّ أن يدرس آخرون شعره دراسة أكاديمية جادة و يميزوا خصائصه لنعرف مقدار ما بين شعره و شعر معاصريه من تشابه أو اختلاف.

الهوامش

- (1) - استقيت بعض هذه المعلومات المتعلقة بحياة الشاعر ، من الشاعر نفسه قبل وفاته، رحمه الله، و بعضها الآخر اقتبسته مما قدمه من معلومات للطالبة سعاد ماجري التي قدمت بحثها لنيل شهادة الإجازة " الليسانس" في الأدب العربي بجامعة عنابة عن حياة و شعر علي أحمد الجندي.
- (2) - انظر : د.سعد بوفلاحة : وداعاً أستاذنا الفاضل، مقال منشور في مجلة اليوم السابع (التي تصدر بالجزائر) في ثلاث حلقات
الحلقة الأولى : يوم الخميس : 26/08/1999، ص : 9
الحلقة الثانية : يوم الخميس : 02/09/1999، ص : 9
الحلقة الثالثة : يوم الخميس : 23/09/1999، ص : 9
- (3) - ديوان المتنبي (شرح الشيخ ناصف اليازجي) ج2، ص 527، دار الجيل، بيروت، ط2، 1996.
- (4) - المصدر نفسه ج2، ص : 533
- (5) - المصدر نفسه ج1، ص : 411
- (6) - المصدر نفسه ج2، ص : 723
- (7) - انظر : د.سعد بوفلاحة المرجع السابق لحلقه الثانية، ص : 9.
- (8) - المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (9) - المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (10) - المرجع السابق، الحلقة الثالثة، ص : 9

127